﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢﴾

[الأعراف: 182]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بين أهل الهدايةِ والحقِّ، وبين المتمادِين في التّكذيبِ والعِصيانِ

بعدَ أنْ بيَّنَ الحقُّ سبحانهُ حالَ الهادينَ المَهديِّينَ وأنّه تعالى أعلَى أمرَهم وطيّبَ ذكرَهم، أتبعَه بقيّةَ الحديث عنِ المكذّبين بآيات اللّه تعالى، وما عليهم منَ الوعيد[1]، أي: أتى بما يقابلُ الهادينَ العادلينَ؛ لأنَّ مجيءَ الشّيءِ بمقابلِهِ أدْعَى إلى أن يَتمكَّنَ منَ النَّفْسِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾: أصلُ (درج) يدلُّ على مُضيِّ الشَّيءِ، والمُضيِّ في الشَّيءِ، وسَنَسْتَدْرِجُهُمْ: سنأخُذُهم قليلًا قليلًا، درجةً فدرجةً، فلا نُباغِتُهم؛ والاستدراجُ: استفعالٌ من دَرَجَ إمّا بمعنى (صَعِدَ)، ثم استُعملَ في كلِّ نقْلٍ تدريجيٍّ سواءً كان بطريق الصّعودِ أوِ الهبوطِ أوِ الاستقامةِ، أو بمعنى (مضَى مشيًا ضعيفًا) أو بمعنى (طَوى)،[3]، والمعنى الأوّلُ هو الأنسبُ بالمعنى المرادِ هنا وهو النّقلُ إلى أعلَى درجاتِ المهالك بأن نَدَعَهُم يتمادَون رُغمَ أوزارِهم ولا نأخذَهم بها أوّلًا بأوّلَ، وبأن نُمدَّهم بالنِّعم رُغم ذنوبِهم حتى يُطوَوْا في شرِّ عاقبةٍ[4].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

تهديدُ المُعرِضين عن منْهجِ الله، المكذِّبين بآياتِه ودَلائِلِه

حكمُ اللّه بالنّسبةِ للمكذّبين بآياتِه الكونيّةِ وبمعجزاتِ صدْقِ النّبوةِ وبآيات القرآن التي هي مِعيارُ الحقِّ ومِصداقُ الصّدقِ

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 418/15، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 178/8.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 298/3، والشّعراويّ، تفسير الشّعراوي: 4489/7.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (درج).
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 297/3.

- والعدلُ هو حكمٌ عامٌّ مُحقّقٌ مؤكّدٌ - بأنّه يدعُهم في الضّلال تائهين، ويقرّبُهم قليلًا قليلًا إلى ما يُهلِكُهم، ويُضاعفُ عقابَهم من حيث لا يعلمون، ولا يتفطّنون لِما يُرادُ بهم، وذلك بأن يُواتِرَ اللّهُ نِعمَه عليهم مع انْهماكِهم في الغَيِّ، فكلّما جدَّدَ عليهم نِعمةً ازدادُوا بَطرًا وجدّدوا معصيةً[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ العطْفِ في الآيةِ الكريمةِ:

العطْفُ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، من باب عطْفِ الشّيءِ على مُقابِله، فقد عطف المكذِّبين على المهتَدين، وجمعَ بينهما بالعطْفِ جمْعَ الضّدِّ مع الضدِّ، وهو أعونُ على البيانِ والتّمييزِ.

الّذين حقَّ عليهم الشّقاءُ، همُ المذكورون في هذه السّورةِ إجمالًا وتفصيلًا

عَلّةُ التّعبيرِ بالاسْمِ الموصولِ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾:

لم يقلْ سبحانه: (والمكذِّبُونَ بآيَاتِنَا)، وإنما عرَّفه بالاسم الموصول ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾؛ للإيماء إلى وجْهِ استحقاقِهم لحُكم استدراجِ اللّه لهم، وهو التّكذيبُ بالآياتِ، فتكذيبُهم بآياتِ اللّه المتلوَّةِ والكونيّةِ وبمعجزاتِ صدْقِ النّبوةِ دليلٌ أكيدٌ أنّهم لم يستمعُوا الحقَّ، ولم ينطقُوا بالخير، ولو كان منهم سماعٌ حقيقيٌّ؛ لآمنوا بالآياتِ عُمومًا، وللإشارةِ إلى أنَّ أدنَى مكذِّبٍ بالآياتِ يَنطبقُ عليه حُكمُ الآية، وليس بالضّرورةِ أن يكونَ راسخًا في التّكذيبِ.

أدنَى مُكذِّبٍ بالآياتِ، محكومٌ بسُنَّةِ الاسْتِدراجِ

نُكتةُ جمْعِ صِلةِ الموصولِ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾:

في إيراد الاسم الموصول جمعًا من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾، إشارةٌ إلى أنّهم فريقٌ اجتمع على التّكذيب بآياتِه الكونيّةِ وبمعجزاتِ صدقِ النّبوّةِ وبآيات القرآن، واتّفق عليه، وقد بيّنت الآياتُ السّابقة اجتماعهم على الغفلة والضّلال والإلحاد في دين اللّه.

المكذِّبون بآياتِ اللّه اجتمعُوا على محاربةِ اللّه، رَغْمَ الإمْهالِ والنِّعمِ

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 418/15، وأبو حيان، البحر المحيط: 233/5، وحجازي، التفسير الواضح: 791/1.

وَجْهُ تَعديّةِ فعْلِ التّكذيبِ بالباءِ ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾:

أفادت تَعديةُ الفعْلِ ﴿كَذَّبُواْ﴾ بحرف الجرّ الباءِ في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، وهو فعْلٌ متعدٍّ بنفسِه تأكيدَ لُصوقِ معنى الفعْلِ بمفعوله، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة: 6]، فلذلك يدلُّ فعْلُ التّكذيبِ إذا عُدّيَ بالباء على معنى الإنكارِ، أي: التَّكذيبُ القويُّ[1].

الْتَصقَ فعلُ التّكذيبِ بهم، فدلَّ على شِدّةِ الإنكارِ

بَلاغةُ إسْنادِ الاسْمِ إلى ضَميرِ العظَمةِ ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾:

إضافةُ الآياتِ إلى ضميرِ العظَمةِ في قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ لتَشريفِها واسْتِعظامِ الإقدامِ على تكذيبِها[2].

تأكيدُ إثْباتِ التّشريفِ واسْتِعظامُ تكذيبِ الآياتِ بعظَمَتِه

نُكتةُ التّعْبيرِ بالجُملةِ الاسميّةِ دونَ الفعليّةِ:

قولُه تعالى: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ جملةٌ فعليةٌ، وهي خبرٌ للمبتدأ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾، وهذا يفيدُ التَّحقيقَ والتَّخصيصَ، وذلك لأنَّ أصْلَ الكلامِ: (سنستدرج الذين كذبوا بآياتنا)، فقُدِّمَ الضّميرُ (هم) وكُرِّرَ، فحصرَ هذا الاستدراجَ في الذين كذّبوا بآيات الله، لبيان مُحقَّقٍ مؤكَّدٍ.

كما أنَّ التَّعبيرَ بالجُملةِ الاسميّةِ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ يُفيدُ الثُّبوتَ والدَّوامَ لهذا الاستدراجِ فهو سُنَّةٌ إلهيّةٌ مع المكذِّبين.

الاسْتِدراجُ سُنّةٌ إلهيّةٌ ثابتةٌ مُحقَّقةٌ، لا تتبدَّلُ

سِرُّ التّعْبيرِ بكلمةِ: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾:

انظرْ إلى كلمةِ ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ كيف أنَّها تُقدّمُ لك معنًى في تلافيفِ حُروفِها قبْلَ أن تُقدِّمَه في معناها اللُّغويِّ المحفوظِ، وكأنَّ القارئَ يَشَمُّ منها رائحةَ المعنى المطلوبِ، ويَلْحظُ فيها إشراقًا يصوّرُ المعنى أمامَ العين، وفي الوقت نفسِه تراها مُنسجِمةً مع ما بعدَها منَ الألفاظ: ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾.

لفْظُ الاسْتِدراجِ قِمّةٌ في الفصَاحةِ؛ إذْ تحملُ المعنَى في تلافِيفِ حُروفِها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 191/9.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 297/3، والآلوسيّ، روح المعاني: 118/5.

ويُلاحظُ في هذه الصّيغةِ القرآنيةِ تناسبُها واتِّفاقُها مع مدلولِ الاستدراجِ ومعناه، فطولُ الكلمةِ وكثرةُ حروفها - تسعة حروف -، وطولُ فترةِ نطْقِها لوجودِ السّكونِ في السّينِ والدّالِ، كُلُّ ذلك يتناسبُ مع معنى الاستدراجِ، وهو الإمهالُ والإنظارُ للكافرين، ويُوحِي بطُولِ مدّةِ عدَمِ انْصياعِهم، وخصوصًا في صِيغة (استفعل) ففيها تَصْييرٌ لهم، وحركةٌ جَعْليّةٌ متَمَهِّلَةٌ، وهذا ما يُوحِي به توالي المقاطعِ وتعدّدُها مما يُجسِّمُ طولَ فترةِ الغفلةِ التي يكونُ فيها الكافرون.

بَلاغةُ الاسْتِعارةِ التّمثيليّةِ:

قولُه تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾، فيه شبَّهَ الحالَ التي يَستدرجُ اللّه بها المكذِّبين مع تأخيرِ العذابِ عنهم إلى أَمَدٍ هُم بالغُوه، بحالِ من يُهيِّئُ أخذًا لعدوِّه بأنْ يطلب منه أن ينزلَ من درجة إلى أخرى، بحيث ينتهي إلى المكان الذي لا يستطيعُ الوصولَ إليه بدون ذلك، مع إظهارِ المُصانعةِ والمحاسَنَةِ؛ ليزيدَ عدوَّه غُرورًا، وليكونَ وقوعُ ضُرِّ الأَخْذِ به أَشَدَّ، وأبعدَ عنِ الاستعداد لتلَقِّيه، فهو تمثيلٌ بديعٌ يشتملُ على تشبيهاتٍ كثيرةٍ، فإنّه مبنيٌّ على تشبيهِ حُسْنِ الحالِ برفعةِ المكانِ، وضدِّه بسَفالةِ المكانِ.

تصويرُ المعنى للقارئِ، كأنّه يَنظرُ إلى مشْهدٍ تمثيليٍّ رائعٍ

بَلاغةُ حذْفِ مفعولِ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾:

حذفَ البيانُ الإلهيُّ المفعولَ به؛ لدَلالةِ الاستدراجِ عليه، والتّقديرُ: (لا يعلمون تدرجه)، وللتّنبيهِ إلى أنّه اسْتِدراجٌ عظيمٌ لا يُظنُّ بالمفعولِ به أن يُتَفَطَّنَ له[1].

بيانُ الاستدراجِ العظيمِ الّذي لا يُتفطّنُ له

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

يَعلمُون ويَشعُرُون:

العلْمُ: أصلُ المادّة يدلُّ على أثَرٍ بالشّيء يتميّزُ به عن غيرِه،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 191/9.

العلْمُ اعتقادٌ جازمٌ مُطابِقٌ للواقعِ، والشّعورُ يُدرَكُ بالحواسّ

والعلْمُ إدراكُ الشّيءِ بحقيقتِه، وهو ضدُّ الجهلِ، وعلِمْتُ بالشّيءِ شعرتُ به، ويُستعملُ بمعنى المعرفةِ، وما يتكوّنُ في القلبِ من حُكْمٍ على الشّيءِ، والعلْمُ: الاعتقادُ الجازمُ الثّابتُ المطابِقُ للواقعِ[1].

الشُّعورُ: تدورُ مادّةُ شَعَرَ حول معنى العلْمِ بالشّيءِ علمًا لطيفًا، وهو إدراكٌ يُوصَلُ إليه من وجْهٍ دقيقٍ يُدركُ بالمشاعرِ وهي الحواسُّ، أي علمُ الشّيءِ علْمَ حسٍّ، ومشاعرُ الإنسانِ حواسُّه، وقوله: (لا تشعرون) معناه: لا تدركونَه بالحواسِّ[2].

إذن: العلمُ والشّعورُ يشتركان في معنى الإدراكِ، إلّا أنَّ الشّعورَ هو إدراكٌ من وجْهٍ دقيقٍ عن طريق المشاعرِ وهي الحواسُّ، بينما العلمُ اعتقادٌ جازمٌ مطابِقٌ للواقعِ، وقد يكون معقولًا ولا يكون محسُوسًا[3].

وقد عبّرَ البيانُ الإلهيُّ بـ﴿يَعْلَمُونَ﴾، دون (يشعرون)؛ لأنّ الشّعورَ هو إدراكٌ بالحواسِّ، ولما كانت حواسُّهم قد عطّلُوها عن وظائفِها، لم يناسبْ أن يُعبّر بـ(يشعرون)، إذْ إنّ كثيرًا مما لا يكونُ محسوسًا قد يكون معقولًا[4]، كما أنَّ من معاني الشّعورِ ابتداءَ الإدراكِ بالشّيءِ من جهةِ المشاعرِ، أمّا العلمُ فهو غايةُ الإدراكِ، وبالتّالي كان التّعبيرُ بـ﴿يَعْلَمُونَ﴾ يُبيّنُ أنّه سُبحانَه اسْتَدرجَهم إلى أبعدِ غايةٍ في الإدراكِ وهي العلمُ، إضافةً إلى ذلك فإنّ عظَمةَ المستدرَجِ لهم سبحانه يُناسبُها أن يكونَ الاستدراجُ ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا من حيث لا يشعرون؛ إذ قد يكونُ الاستدراجُ من حيث لا يُشْعِرُ المستدرِجُ به أيَّ أحد، ولا يشعر المُستدرَج بأيّ خطب، ولو أراد أن يَعلَمَ لم يعلَمْ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (علم).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (شعر).
(3) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 125/2.
(4) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 125/2.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»